



The concept of purification and the impact of aesthetic education in
establishing the values of virtue and tolerance

Lecture . Hussein Abbas Al-Taie

University of Mohammed V – Morocco



altai@mail.dk



<https://orcid.org/0009-0004-7370-6300>



<https://doi.org/10.32792/tqartj.v2i43.481>

Received 3/6/2023, Accepted 11/8/2023 , Published 30/9/2023.

Abstract

Summary This research mainly discusses the concept of catharsis in Aristotle's Poetics, and how this concept had a precedent in Plato's philosophy, especially in the Laws dialogue, where we find the content of the concept of catharsis. The research also discusses the importance of the concept of catharsis and its close connection with the education of art and beauty and their essential impact on the upbringing and socialization of children in all educational stages. It is known that this approach has been defended and disseminated by philosophers and educators such as Friedrich Schiller, John Dewey, and Herbert Read. This research paper uses a field study conducted by a group of researchers in the United States of America, to show us the positive results and effectiveness of teaching art and beauty to school students.

Keywords: concept of catharsis, Aristotle, aesthetics, Schiller, Herbert Read, art education.





مفهوم التطهير وأثر التربية الجمالية في ترسيخ قيم الفضيلة والتسامح

م. حسين عباس الطائي

جامعة محمد الخامس - المغرب

الملخص

يناقش هذا البحث بشكل رئيسي مفهوم التطهير *catharsis* عند أرسطو في كتابه فن الشعر، وكيف كان لهذا المفهوم وجود سابق في فلسفة أفلاطون، خاصة في محاورة القوانين، حيث نجد محتوى مفهوم التطهير. يهتم البحث أيضاً بمناقشة أهمية مفهوم التطهير وارتباطه الوثيق بتعليم الفن والجمال وأثرهما الجوهرية في تربية وتنشئة الأطفال في كل المراحل الدراسية. من المعروف أنّ هذا التوجه قد تم الدفاع عنه ونشره فلاسفة وعلماء تربية مثل فريدريك شيلر، وجون ديوي، وهربرت ريد. تستخدم هذه الورقة البحثية دراسة ميدانية قام بها مجموعة من الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية، لتظهر لنا النتائج الإيجابية وفعالية تعليم الفن والجمال لطلبة المدارس.

الكلمات المفتاحية: مفهوم التطهير، أرسطو، الجمالية، شيلر، هربرت ريد، التربية الفنية.

المقدمة





إنّ ما قاله أفلاطون عن معنى التطهير من خلال تعليم الفن للأطفال، وما أكدّه أرسطو من بعده حول أهمية التطهير عن طريق الفعل الدرامي وعملية تمثيل الفن، يفسر بشكل جلي أهمية الفنّ والضرورة الملحة لتعليم الفنّ والتذوق الجمالي. لقد أصبحت الرؤية أكثر وضوحاً عندما تأكدت هذه الحقيقة في كتابات الفلاسفة وعلماء التربية في العصر الحديث والمعاصر أمثال شيللر وجون ديوي، وهربرت ريد وآخرين، حيث غادرت المدارس منذ بداية القرن العشرين شكل التعليم التقليدي الذي يعتمد على التلقين والحفظ، لتتبنى الجانب العملي الذي صار مرافقاً للجانب النظري، فأصبحت المدارس مكاناً لتعلم المهارات الفنية والحرفية، ومكاناً لتحرير فعاليات الأطفال وطاقاتهم. لقد أصبحت المدارس بهذا المعنى المكان الأهم والأول في رعاية مكتسبات المجتمعات والشعوب المتحضرة.

في الجانب الآخر كانت هناك دائماً ضبابية وعدم وضوح في تناول موضوع التربية الفنية، والتلقي الجمالي خاصة في منطقتنا العربية، لأن هناك عوامل كثيرة تجعل من تناول موضوع التربية الجمالية والتربية الفنية وأثرها الثابت في تغيير الإنسان نحو الأفضل، موضوعاً ثانوياً،





يمثل ترفاً ولا يشكل أهمية قصوى بالنسبة إلى المشتغلين في العملية التعليمية والتربوية، وإن كانت موجودة في بعض المؤسسات التعليمية، إلا إنها موجودة بطريقة خاطئة وناقصة، ولا توظف بالشكل الصحيح في أغلب نظم التعليم العربية.

نتناول في هذه الورقة البحثية مفهوم التطهير في الفن وأثره الفاعل في الممارسة الجمالية والتلقي الجمالي، وكيف تكون ممارسة الفن فعلاً إيجابياً وعملاً مهماً في خلق التوازن النفسي للإنسان بوصفه «كلية كاملة» حسب تعبير شيلر، لأنّ ملكات الانسان تتكامل ما بين الجانب الحسي والجانب العقلي. إنّ التربية الفنية الجمالية هي وسيلة أساسية وجوهرية في ترسيخ قيم التأمل الجمالي والإدراك الحسي، والإدراك الصحيح أيضاً، وتنمية ملكة الإبداع والابتكار، مما يترتب عليه تنشئة جيل إيجابي فاعل في المجتمع، قادر على الملاحظة، والإدراك الصحيح، والتفسير، والفهم. ونتناول أيضاً الأثر الإيجابي لتعليم الفن والجمال لطلبة المدارس من خلال عرض سريع لدراسة ميدانية حديثة أجريت في الولايات المتحدة الامريكية، ومحاولة مناقشة النتائج الإيجابية المترتبة على هذه التجربة الناجحة.





مفهوم التطهير:

ظهر مفهوم التطهير مع بداية المناقشات المبكرة في الفلسفة القديمة عند أفلاطون وعند أرسطو، وارتبط هذا المفهوم بظهور أهمية التربية الجمالية، التي جعل منها أفلاطون شرطاً أساسياً، كما كان ركيزة أساسية في تنشئة الأجيال، وكذلك هو ركيزة أساسية للتلقي الجمالي للجماهير وكيف يكون أثر التطهير عنصراً فاعلاً رئيسياً في عملية التلقي الجمالي. لم يشر أفلاطون إلى مفهوم التطهير بشكل مباشر لأن المفهوم ظهر في زمن لاحق في كتاب فنّ الشعر لأرسطو. لكن أفلاطون أشار في أكثر من محاوره إلى ما يشبه التطهير ومنها محاوره القوانين، حيث يقول على لسان الغريب الأثيني: «إنّ اللذة والألم هي المدركات الأولى للطفل، ويجب أن تتعلّم بجودة عالية للأطفال، ويجب أن يتعلم الطفل أيضاً الرقص والغناء، لأنّ هذه الفنون إضافة إلى معرفة الفضيلة والخير والشر، تجعل الأطفال مواطنين صالحين وأناساً جيدين». فالفنون في جانب منها بهذا المعنى هي فعل تطهير للنفس البشرية من الشرور.

يصبح مفهوم التطهير (*Catharsis*) عند أرسطو مفهوماً مركزياً في نظريته الجمالية، حيث يرى أنّ غاية أو ذروة التراجيديا وهدفها الأساسي هي لحظة حدوث التطهير، وهي تقنية لعواطف



التي يثيرها الممثل حتى بدون الحاجة الى السرد. ويعرّف أرسطو المأساة؛ «على أنها فعل نبيل تام لها طول معلوم، بلغة مزودة بألوان من التزيين تختلف وفقاً لاختلاف الأجزاء. إنّ هذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون لا بواسطة الحكاية، وتثير الرحمة والخوف فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات.» كان أرسطو يعتقد بأن النفس البشرية تحتاج إلى هذه اللحظة، لحظة التطهير. إنّها لحظة حاسمة للوصول الى التوازن النفسي الذي يحتاجه الإنسان.

هناك تعريفات ونظريات كثيرة حول مفهوم التطهير عند أرسطو، نختار تعريف النظرية التعليمية؛ «عندما يشاهد المتلقي معاناة البطل المأساوي يتعلم . عن طريق أحاسيس الشفقة والخوف المستثارة . أن انفعالات البطل الشريرة مهلكة، ومن ثم يتجنبها في حياته.»^٢

يؤكد شيلر على معنى التحرر الإنساني، عن طريق الفن وهو معنى يقترب من مفهوم التطهير إذ يذكر أنّ مهمة «الفن» كونه فعل حرية، فهو - بالشكل - يحرر المرء من طغيان الفكر، فالفن - الفاعل للتحرير - هو صورة وادعة في شكل حي يحرر الإنسان من طغيان الحس والفكر على السواء.^٣

الفن أساساً للتربية





أن يكون الفن أساساً للتربية فهذا ما ذهب إليه أفلاطون في فترة مبكرة من تاريخ الفلسفة القديمة، تحديداً في محاوره القوانين كما ذكرنا سابقاً، ولكن هربرت ريد يعيد صياغته وتوضيحه في كتابه التربية عن طريق الفن، حيث يذكرنا ريد بأهمية التربية الفنية الجمالية عندما يُعرف مفهوم التربية؛ بأنها «تعهد النمو بالرعاية، غير أن النمو بغض النظر عن النضج الفيزيائي (البدني) لا يوضحه سوى التعبير عنه، بواسطة العلامات والرموز المسموعة والمرئية» وبهذا المعنى يخبرنا ريد عن أهمية تعلم المرئي (الصور وأشكالها المختلفة في الفن التشكيلي والمسرح والسينما) وتعلم المسموع (الموسيقى والغناء) وتكون اللغة (الرموز والعلامات) باعتبارها الركيزة الأولى لهذا التعلم.

في اللغة تكون العلامات والرموز هي الجوهر وهي التي تمنحنا الدلالة والمعنى، ويتأتى إدراك الكلمات ومعانيها وفهم اللغة وعلاماتها عن طريق العقل. إن الخبرة التراكمية المتحققة من معرفة ودراسة اللغة، تمكننا من فهم قواعد وقوانين اللغة وممارستها في الحياة اليومية، لتكون وسيلة التعبير الأولى وهي أيضاً «المادة» أو أداة الفكر الرئيسية التي يستخدمها ويشكلها ويصنع منها إبداعاً فيما بعد الشاعر والكتاب والروائي لقول ما يريد إيصاله للمتلقي.





في الفن أيضاً هناك صور وعلاقات لأشياء يجب تعلمها وفهمها، الإدراك العقلي وحده لا يكفي لمعرفة تلك الصور والأشياء، يحتاج الإدراك العقلي الى إدراك حسي، يكون مسانداً للإدراك الأول، حتى يتمكن من استيعاب تلك الصور والأشياء. وفي الفن ايضاً نحتاج أدوات، ومواد، وخبرة استخدام هذه الأدوات والمواد تتأتى من تعلم الفن وفهم علاقته المتشابكة وربط هذه العلاقات فيما بينها وفهم المعنى الحقيقي للجمال في الفن.

هناك أسئلة كثيرة تجبرنا على محاولة فهم وتفسير معنى تعلم الفن وضرورة استيعاب حاجات الطفل والشاب للتعبير عن ذاته ووجوده من خلال فعل وتمثل الفن، حيث يرى جون دوي هذه الحاجة الملحة: «الأطفال عادة يرغبون في أن يصنعوا أشياء ثم يراقبوا ما ينتج عنها. وهذا شيء يمكن الاستفادة منه. فمن الممكن أن يوجه إلى طرائق قيّمة، لا أن يُترك ليجري اعتباطاً، وهكذا نجد أنّ الدافع التعبيري لدى الأطفال، أي غريزة الفن، تنشأ أيضاً من غريزتي الاتصال والإنشاء فهي خلاصتها ومظهرها الكامل. فإذا جعلت ما تصنعه مرضياً وملئياً وحرراً ومرناً وأعطيته دافعاً اجتماعياً وشيئاً ما لتخبر عنه فقد صار لديك عمل فني»^٤.



إنّ هدف التربية الفنية ليس تعليم المهارات الفنية فقط، وإنما هناك أهداف لا تقل أهمية عن تعلم المهارات، وهذه الأهداف هي التي تجعل من التربية الجمالية عمليةً جوهريّةً في رعاية ونمو كلّ ما هو فردي في كلّ كائن بشري على حدة، والعمل في نفس الوقت على إيجاد التناغم والانسجام بين الفردية التي يحصل عليها بتلك الطريقة وبين الوحدة العنصرية للمجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد. وبهذا المعنى يكون للتربية الجمالية أهداف جوهريّة منها؛ الاحتفاظ بالحدة الطبيعية لجميع أنواع الإدراك والإحساس، إيجاد التناسق بين مختلف طرائق الإدراك والإحساس، بعضها ببعض من ناحية وبينها وبين البيئة من ناحية أخرى، والتعبير عن الوجدان بطريقة يمكن نقلها للغير، كذلك التعبير بأشكال يمكن نقلها للغير عن طرائق الخبرة العقلية التي تظل إذا لم يتيسر لها التعبير لاشعوريةً بصورة جزئية أو كلية، وآخرها التعبير عن الفكر بالشكل المطلوب.°

معنى الفن





هناك تعريفات كثيرة لمفهوم الفن تقرب لنا أهميته كفعل أبداعي يرتبط بالحس وغايته الجمال. لكن أغلب هذه التعريفات هي تفسير محدود لتحول المادة الخام (الكلمات، الحجر أو الألوان، الأصوات، وما إلى ذلك) إلى عمل فني في قصيدة شعر، عمل نحتي، لوحة، أو قطعة موسيقية... وهنا يكون المعيار لقيمة العمل هو الجمال بمعناه العاطفي، والذي تحدده شروط الخبرة الجمالية، إذ يكون للجمال جانب وظيفي كما يصفه شيللر، الجمال غاية في ذاته وهو طور مرحلي ما بين المادة والصورة أو ما بين الانفعال والفعل. فالجمال - كوسيلة وواسطة، أي على مستوى المنهج- يلعب فيه الإنسان دوراً مزدوجاً، الأساس فيه إكمال النقص وتحقيق التوازن.^٦

ولكننا نرى أن التعريف المعاصر والشامل للفن يتضمن مفهوماً إبستمولوجياً ويقدم مفهوم الفن بوصفه حقيقة معرفية وجودية وإبداعاً فكرياً وليس عملاً حرفياً، يعتمد على مهارة الفنان، لغرض محدد وحاجة جمالية نستخدمها في حياتنا اليومية. يجب أن يكون للفن معنى آخر، أكثر فعالية ويمتلك قوة التغيير على حد تعبير جيل دولوز. يتضمن الفن من منظور دولوز بعداً معرفياً لا سبيل إلى حبه، إذ هو قوة تغيير فعلية للكيفية التي ندرك بها معطيات الواقع: «الفن لغة حسية، سواء كانت بالكلمات أو الألوان، بالأصوات أو بالأحجار» شريطة ألا نخترل العمل الفني



إلى معناه السيكولوجي، لأنّ الفن ليس مجرد استيهامات ذاتية، بل هو الوجود نفسه، يعبر عن إثباته في فعل الإبداع، أو لنقل بلغة هايدغرية، إنّه الوجود ذاته معبراً عنه ذاته بـ«الذائين»^٧.

الفن والجمال والذات الإنسانية

ونحن نتحدث عن علاقة الفن والتذوق الجمالي في بناء الذات وتكوين شخصية متوازنة، لا نريد أن ندخل في تفاصيل ليست في صلب تخصصنا ونقصد هنا أسئلة علم النفس والإجابة الدقيقة عنها. نناقش بشكل سريع علاقة بناء الشخصية الحرة المستقلة وأثر الفن والجمال في بناء هذه الذات المتحرّرة. تتحرر الذات عبر ممارسة أي شكل من أشكال الإبداع الفني أو الأدبي، إذ يشير كانط إلى التثقيف بوصفه «تثقيف» المدارك (أو «الموهبة الطبيعية»)، والتثقيف بحدّ ذاته فعل من أفعال الحرية يقوم به شخص فاعل. وهكذا، فمن بين الواجبات الملقاة على عاتق المرء كما يذكر كانط واجب ألا تُترك مواهب المرء عرضة للصدأ.^٨





وفي نفس السياق يكون للفنّ دور فاعل وجوهري في تحقيق ذات فعالة وحرّة تدرك الأشياء والصور، وتعرف دورها الطبيعي في الحياة من خلال تطوير مداركها ومواهبها الشخصية. ويرى شيلر أنّ الفنون الجميلة لها وظيفة استعادة الوحدة الكلية المفقودة في المعرفة وفي الشخصية الإنسانية على السواء. فالفنّ الجيد هو فنّ «كليّ النظرة» و«شمولي الأداء» هدفه تحقيق الوحدة بعد تفتت من جراء حمّى التخصص الدقيق، كما أنّ هدفه تحقيق الصقل الكلي المتوازن لقوى الإنسان وملاكاته.

تجربة ولاية هيوستن في الولايات المتحدة الأمريكية

لقد اهتمت أغلب النظم التربوية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي العديد من الدول الأوربية (خاصة الغربية منها) بالتربية الفنية الجمالية. حيث أصبحت مادة التربية الفنية مادةً أساسيةً لا يمكن التنازل عنها أو إهمالها. ولكن رغم الاهتمام كانت هناك بعض المشاكل التي دفعت بالباحثين إلى ايجاد حلول معاصرة بغرض الاستمرار في إنجاح وتطوير العملية التربوية.





وهنا نتتبع تجربة ولاية هيوستن في الولايات المتحدة الأمريكية في أهمية تعليم الفن لطلبة المدارس في المراحل المختلفة، قام بهذه الدراسة الدكتور دانيال بوون، وطبقت هذه على ٤٢ مدرسة وحوالي ١٠,٥٤٨ طالباً، بعد أن تم تقسيم طلبة المدارس على مجموعتين، مجموعة تخضع لتعليم الفن بشكل مكثف وبمستوى عال على يد أساتذة محترفين، ومجموعة أخرى لا تخضع لدروس الفن.^٩ يخضع كل الطلبة الى اختبار قبل البدء في برنامج الاختبار ويشمل هذا الاختبار:

١. تقييم مستواهم الدراسي في المواد العامة.

٢. سلوك الطلبة ونسبة التسامح والتعاطف فيما بينهم.

٣. الرغبة في الذهاب إلى المدرسة.

٤. الرغبة في مواصلة دراستهم في الجامعة.

اعتمد برنامج الدراسة على نقاط رئيسة تم التركيز عليها وهي:





١. إعطاء دروس مكثفة في الفنّ (الرسم، المسرح، الموسيقى والرقص) وكذلك إدخال المواد الفنية في الدروس الأساسية مثل، درس الرياضات والفيزياء، والجغرافية، ودروس اللغات.
٢. مشاركة الطلبة في جولات إلى المتاحف والمسارح.
٣. إعطاء الدروس الفنية من قبل أساتذة محترفين.
٤. المشاركة الفعلية للطلبة في تنفيذ أعمال فنية مشتركة مع فنانين محترفين.
كانت النتائج إيجابية بشكل كبير على المستويات كافة وبالشكل الآتي:
 ١. اندماج وشغف كامل للطلبة في إقبالهم على دروس التربية الفنية.
 ٢. إقبال الطلبة على الدروس الأساسية الأخرى.
 ٣. تحقيق علامات أفضل في دروس أساسية منها الرياضيات واللغات.
 ٤. تقليل الفارق بين الطلبة المتفوقين والطلبة الأقل تفوقاً.
 ٥. تحسن كبير في حل المشاكل ما بين الطلبة.
 ٦. تقدم كبير في اندماج الطلبة اجتماعياً.
 ٧. التعبير عن أنفسهم بطريقة أكثر وضوحاً وظهر ذلك من خلال التعبير عن أنفسهم فيما يكتبون وبدأوا يفكرون بشكل أفضل.



٨. ٣,٦٪ نسبة أقل في حصولهم على مخالقات تأديبية مدرسية.

٩. ٤٠٪ نسبة تحسن في التعاطف ما بين الطلبة.

١٠. ٥,٧٪ زيادة في نسبة الطلبة الراغبين في مواصلة دراستهم الجامعية.

في خاتمة القول بعد هذا المرور السريع على هذه التجربة الناجحة بكل المقاييس، التي تعود بنا إلى تلك الأهمية التي أولاها الفلاسفة وعلماء التربية لدراسة الفن وتعلم التذوق الجمالي، نخلص إلى أنّ التجربة الإنسانية تكون ناقصة وغير مكتملة بغياب درس تعلم الفنّ والجمال، وفي غيابها تغيب عن الذات الإنسانية فكرة التحرر الكامل، وينتقص من الوجود الإنساني على الأرض.

الهوامش

^١ Tillman A, F., Cahn M, S. (1969). *Philosophy of Art and Aesthetics: From Plato to Wittgenstein*, p. 657 .

^٢ أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق د.أبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣، صفحة ١٠٣

^٣ شيللر، فريدرش، في التربية الجمالية للإنسان، ت. د. وفاء محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١، صفحة ٦٨

^٤ جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٨، ص ٦٠.

^٥ هيربرت ريد، التربية عن طريق الفن، ترجمة، عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص ١٥

^٦ شيللر، مصدر سابق، ص، ٦٩.





- ٧ حدجامي، عادل، فلسفة جيل دولوز عن الوجود والأختلاف، دار توبقال، ٢٠١٢، ص ١٦٥.
- ٨ غدامير، هانز جورج، الحقيقة والمنهج، ترجمة: د.حسن ناظم و د.علي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧، ص ٥٨.
- ٩ 2.Bowen, D. H., Kisida, B. P., & Roeder. (2019). "Arts education; investigating causal effects of arts education experiences: Experimental evidence from houston's arts access initiative", *Education Week*, 38(24), 4. Retrieved.

المراجع والمصادر

١. Tillman A, F., Cahn M,S. (1969). *Philosophy of Art and Aesthetics: From Plato to Wittgenstein.*
٢. Bowen, D. H., Kisida, B. P., & Roeder. (2019). *Arts education; investigating causal effects of arts education experiences: Experimental evidence from houston's arts access initiative. Education Week, 38(24), 4.* Retrieved from <https://search.proquest.com/docview/2193184951>
- ٣.
٤. أرسطو، فن الشعر، ت، د. إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨.
٥. شيللر، فريدريش، في التربية الجمالية للإنسان، ت، د.وفاء محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١
٦. ديوي، جون، المدرسة والمجتمع، ترجمة د. أحمد حسن الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ط٢، ١٩٧٨.
٧. حدجامي، عادل، فلسفة جيل دولوز عن الاختلاف والوجود، دار توبقال للنشر، المغرب ٢٠١٢
٨. غدامير، هانز جورج، الحقيقة والمنهج، ترجمة د. حسن ناظم و د.علي حاكم صالح، دار أويا للنشر، طرابلس، ليبيا ٢٠٠٧





References and Sources

1. Tillman A, F., Cahn M,S. (1969). Philosophy of Art and Aesthetics: From Plato to Wittgenstein.
2. Bowen, D. H., Kisida, B. P., & Roeder. (2019). Arts education; investigating causal effects of arts education experiences: Experimental evidence from houston's arts access initiative. Education Week, 38(24), 4. Retrieved from <https://search.proquest.com/docview/2193184951>
3. Aristotle, Poetics, trans. Dr. Ibrahim Hamada, Anglo-Egyptian Library, 1998.
4. Schiller, Friedrich, On the Aesthetic Education of Man, trans. Dr. Wafaa Muhammad Ibrahim, The Egyptian General Authority for the Book 1991
5. Dewey, John, The School and Society, trans. Dr. Ahmed Hassan Al-Rahim, Dar Maktabat Al-Hayat Publications, Beirut 2nd ed., 1978
6. Hadjami, Adel, The Philosophy of Gilles Deleuze on Difference and Existence, Dar Topqal for Publishing, Morocco 2012
7. Gadamer, Hans-Georg, Truth and Method, trans. Dr. Hassan Nazem and Dr. Ali Hakim Saleh, Dar Oya for Publishing, Tripoli, Libya 2007

